

ТЕОЛОГИЯ

УДК 297.18

THE STYLE OF OATHS IN THE HOLY QURAN

أسلوب القسم في القرآن الكريم

С.Х. Шарипов

Казанский Исламский Университет

person.new.2017@mail.ru

Submission Date: 23.06.2018

الملخص

أسلوب القسم في اللغة هو طريق من طرق توكيد الكلام، وإبراز معانيه ومقاصده على النحو الذي يريده المتكلم، إذ يؤتى به لدفع إنكار المنكرين أو إزالة شك الشاكين. القسم من المؤكدات المشهورة التي تمكن الشيء في النفس وتقويه، ومعلوم أن القرآن الكريم نزل بلغة العرب، وعلى أسلوب كلامهم، ومناحي خطابهم، وكان من عادتهم أنهم إذا قصدوا توكيد الأخبار وتقريرها، جاءوا بالقسم، وعلى هذا جاءت في القرآن الكريم أقسام متنوعة في مواضيع شتى لتوكيد ما يحتاج إلى التوكيد. والأقسام التي جاء بها القرآن الكريم على ما ورد على طريق الحكاية، في ضمن ما قصه القرآن من قصص المخلوقين كقوله تعالى حكاية لقوله إبراهيم (عليه السلام) لقومه: (تالله لأكيدن أصنامكم بعد أن تولوا مدبرين) سورة الأنبياء: آية 57، وقوله سبحانه مخبراً عما كان يقول كفار مكة قبل بعثة المصطفى (عليه الصلاة والسلام) (و أقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءهم نذير ليكونن أهدى من إحدى الأمم) سورة فاطر: آية 42. وهذا الضرب من القسم كثير في القرآن، و ليس من هدفي أن أخوض فيه في هذا البحث.

الكلمات المفتاحية: البلاغة القرآنية، البلاغة العربية، القسم في القرآن واللغة، فهم القرآن، اللغة العربية

Abstract

The main goal of the oath from linguistic point of view is to highlight its meanings and purposes as the speaker wants as it is meant, to push denouncing the deniers and to remove the doubt of the complainants. The author explores the style of the oath's words, the aspects of their speech. The oath is also explores as a special habit that intended to confirm the news and report, that came in the section. It occurred in various Koran sections, in various topics and was aimed to emphasize acute human needs. Special attention was paid to the sections that came out of the Koran where it is said about different creatures, as the Almighty told the story of Abraham – peace be upon him – his people: (Allah is to confirm your idols after they took the

masterminds) Surat Al-Anbiya: verse 57, Glory be to Allah, and He is the Most High, the Most High, the Most High, the Most High, and the Most High.

Keywords: Quranic rhetoric, Arabic rhetoric, Quran and language section, Understanding Quran, Arabic language

For citation: Sharipov, S.Kh. (2018). أسلوب القسم في القرآن الكريم [Method of section in the Holy Quran]. Eurasian Arabic Studies, 4, 103-109.

المقدمة

افتتح القرآن الكريم كثيراً من السور القرآنية بالقسم، وأورد أقساماً في ثانياً عدد غير قليل منها، وأسلوب القسم في اللغة العربية من المؤكّدات المشهورة، التي تُمكن الشيء في النفس وتقويه، وقد نزل القرآن الكريم للناس كافة، ووقف الناس منه مواقف متباينة، فمنهم الشاك، ومنهم المنكر، ومنهم الخصم الألد، فجاء القسم في كتاب الله، لإزالة الشكوك وإحباط الشبهات وإقامة الحجة وتوكيد الأخبار، لتطمئن نفس المخاطب إلى الخبر، لا سيما في الأمور العظيمة التي أقسم عليها. لقد أقسم الله بمخلوقاته مع نهيه عن القسم بغيره، للإشارة إلى أن هذه المخلوقات، ما هي إلا آيات يستتير بها أولوا الأبواب في مناهج الاستدلال على وجود الخالق الحكيم، ولتصحيح العقائد الباطلة، فالقسم بالنجم إذا هوى وأمثال ذلك، فيه رد على من اعتقدوا بالوهية الكواكب، وللفت الأنظار إلى الكون وما يحويه من حقائق وأسرار، ونظام بديع محكم، ولتقرير أن الكتاب الذي جاء به رسول الله (ﷺ) منزل من عند الله، وأن الله تكفل بحفظه من التبديل والتحريف والنقص والزيادة، وأنه كتاب هداية، ينير البصائر والأبصار لتَهْتَدِي إلى أقوم طريق.

المنهجية ومادة البحث

يعتمد البحث أن القرآن الكريم نزل للناس كافة، ووقف الناس منه مواقف متباينة ومتخالفة؛ فمنهم مهتد موقن، ومنهم ضال منكر، ومنهم مصدق موافق، ومنهم مُكذّب مُخاصم. وقد استدعت هذه المواقف المتباينة والمتخالفة أن يتوجه القرآن إلى كلّ منها بما يناسبه من خطاب، وبما يلائمه من أسلوب. وكان من الأساليب التي سلكها القرآن مع الكافرين والجاحدين أسلوب القسم، إقامة للحجة عليهم.

تعريف القسم: (أولاً مفهوم الإشتراك: القسم في اللغة: هو اليمين، وفي الشرع: هو ربط النفس بالامتناع عن شيء أو الإقدام عليه، بمعنى مُعْظَم عند الحالف حقيقة أو اعتقاداً. ويُجمع على (أقسام). و(أقسم) إقساماً، ومقسماً: حلف. يقال: أقسم بالله: حلف به، فهو مُقسم. و(القسم) و(الحلف) و(اليمين) بمعنى واحد. وسمي (الحلف) يميناً؛ لأن العرب كان أحدهم يأخذ بيمين صاحبه عند التحالف (ابن العربي، 1961، ص294). وكان أهل الكفر يقسمون بأبائهم وآلهتهم، فإذا كان الأمر عظيماً أقسموا بالله تعالى، قال سبحانه: (وأقسموا بالله جهد أيمانهم)، (الأنعام: 109).

أنواع القسم: قال بعض أهل العلم: (القَسَم) بالشيء لا يخرج عن وجهين: إما لفضيلة أو لمنفعة؛ قال: فالفضيلة كقوله تعالى: {وطور سينين * وهذا البلد الأمين} (التين: 2-3)، فقد أقسم سبحانه - وله أن يُقسم بما شاء - بالبلد الأمين، وهو مكة؛ تبياناً لفضلها ومكانتها. والمنفعة نحو قوله سبحانه: {والتين والزيتون} (التين: 1)، وأقسم سبحانه بهذين المطعومين؛ لبيان منفعتهما وفائدتهما. وتتبع أسلوب القسم في القرآن الكريم، يرشد إلى أنه ورد بحسب اعتبارات ثلاثة:

أولها: باعتبار المقسم به، وهو بهذا الاعتبار ينقسم إلى قسمين:

أحدهما: قَسَمَ بالله عز وجل. وقد أقسم سبحانه بذاته في ثمانية مواضع في القرآن الكريم، هي: قوله تعالى: {فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم} (النساء: 65)، وقوله عز من قائل: {قل إي وربي إنه لحق} (يونس: 53)، وقوله سبحانه: {فوربك لنسألنهم أجمعين} (الحجر: 92)، وقوله سبحانه: {فوربك لنحشرنهم والشياطين} (مريم: 68)، وقوله عز من قائل: {قل بلى وربي لتأتينكم} (سبأ: 3)، وقوله تعالى: {فورب السماء والأرض} (الذاريات: 23)، وقوله تعالى: {فلا أقسم برب المشارق والمغارب} (المعارج: 40)، وقوله سبحانه: {قل بلى وربي لتبعثن} (التغابن: 7).

ثانيهما: قَسَمَ بمخلوقاته، وهذا كثير في القرآن:

فتارة يُقسم سبحانه بمخلوقاته السماوية، كقوله تعالى: {والنجم إذا هوى} (النجم: 1)، وقوله عز وجل: {والشمس وضحاها * والقمر إذا تلاها} (الضحى: 1-2). وقوله سبحانه: {والسماء ذات البروج} (البروج: 1).

وتارة يقسم بمخلوقاته الأرضية، كقوله سبحانه: {والتين والزيتون * وطور سينين} (التين: 1-2)، وقوله سبحانه: {والنهار إذا جلاها * والليل إذا يغشاها} (الضحى: 3-4)، وتارة يقسم سبحانه بنبيه ﷺ، كما في قوله تعالى: {لعمرك إنهم لفي سكرتهم يعمهون} (الحجر: 72).

وتارة يقسم سبحانه بالقرآن الكريم، كقوله سبحانه: {يس * والقرآن الحكيم} (يس: 1-2)، وقوله تعالى: {ص والقرآن ذي الذكر} (ص: 1)، وقوله عز وجل: {ق والقرآن المجيد} (ق: 1). (القرطبي، 1374هـ).

ثانيها: ويقسم (القَسَم) باعتبار المقسوم عليه إلى أنواع:

منها (القَسَم) على التوحيد، من ذلك قوله تعالى: {فالتاليات ذكرا * إن إلهكم لواحد} (الصافات: 3-4). ومنها (القَسَم) على أن القرآن حق، من ذلك قوله سبحانه: {وإنه لقسم لو تعلمون عظيم * إنه لقرآن كريم} (الواقعة: 76-77).

ومنها (القَسَم) على أن الرسول ﷺ حق، من ذلك قوله سبحانه: {يس * إنك لمن المرسلين} (يس: 2-3).

ومنها (القَسَم) على أن الجزاء حق، من ذلك قوله سبحانه: {والذاريات ذروا} (الذاريات: 1)، مع قوله تعالى: {وإن الدين لواقع} (الذاريات: 6).

ومنها (القَسَم) على حال الإنسان، من ذلك قوله سبحانه: {والليل إذا يغشى * والنهار إذا تجلى} (الليل: 1-2)، مع قوله تعالى: {إن سعيكم لشتى} (الليل: 4). (القرطبي، 1378هـ).

ثالثها: يقسم باعتبار الإظهار والإضمار إلى قسمين: ظاهر ومضمر:

ف (الظاهر)، وهو ما يذكر فيه (المَقْسَم) به، مثاله قوله سبحانه: {ف ورب السماء والأرض} (الذاريات: 23). ومن أمثله أيضاً قوله تعالى: {فوربك لنسألنهم أجمعين}، ونحو هذا من الأقسام التي يذكر فيها المقسم به.

و(المُضمر)، هو ما يكون (المَقْسَم) به مضمراً ومقدراً، مثاله قوله تعالى: {لتبطلون في أموالكم وأنفسكم} (آل عمران: 186)، ف (اللام) هنا لام (القَسَم)، دلت على المقسم به، والتقدير (والله لتبطلون). ومن أمثله أيضاً قوله تعالى: {وإن منكم إلا واردها} (مريم: 71)، والتقدير: والله إنكم لو اردو النار.

فائدة أسلوب: القَسَم:

والغرض الأساس من (القَسَم) التأكيد على الأخبار التي وردت فيها الأقسام. وقد يرد (القَسَم) في القرآن الكريم بقصد بيان عظمة المقسم به، ك (القَسَم) بالله، و(القَسَم) بالنبي ﷺ. وقد ذكر المفسرون في أثناء تفاسيرهم جملاً من فوائد (القَسَم)، تفيد ما أشرنا إليه من فائدة (القَسَم)؛ فالإمام الرازي عند تفسيره لقوله تعالى: {وقال الذين كفروا لا تأتينا الساعة قل بلى وربي لتأتينكم}، يقول: "يُعَلِّمُهُ -أي للنبي ﷺ- (القَسَم) تأكيداً لما كان يخبر عن البعث"، ويؤيد الزركشي هذه الفائدة من أسلوب (القَسَم)، فيقول: "(القَسَم) إنما جيء به لتوكيد المقسم عليه". ويقرر الألوسي فائدة أخرى من أسلوب (القَسَم)؛ وذلك أن (القَسَم) يتضمن الإخبار عن تعظيم المقسم به"، وأن "الإقسام بالشيء إعظام له (الفراهي، 1349هـ).

القَسَم وجوابه:

الصيغة الأصلية لأسلوب (القَسَم)، أن يؤتى بالفعل (أقسم) أو (أحلف) متعدياً ب (الباء) إلى المقسم به، ثم يأتي المقسم عليه، وهو المسمى بجواب (القَسَم)، كقوله تعالى: (وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءتهم آية ليؤمنن بها) (الأنعام: 109). وعلى هذا، فإن أسلوب (القَسَم) يتكون من ثلاثة عناصر رئيسية: فعل (القَسَم)، والمقسم به، وجواب القَسَم.

وقد تزايد ألفاظ في (القَسَم) للمبالغة في التوكيد، من ذلك زيادة لفظ (إي) بمعنى: نعم، كما في قوله تعالى: (قل إي وربي) (يونس: 52). وقد يُنقص منه للاختصار وللعلم بالمحذوف، فيُحذف فعل (القَسَم)، وحرف الجر، ويكون الجواب مذكوراً، كقوله سبحانه: (لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة) (الأحزاب: 21)، والتقدير: والله لقد كان.

وجواب (القَسَم) قد يذكر، وقد يحذف للعلم به، أو للدلالة عليه، فمن أمثلة ذكره قوله عز وجل: (والشمس وضحاها) (الشمس: 1) إلى قوله تعالى: (قد أفلح من زكاها) (الشمس: 9). وقد ذكر الزركشي أن ذكر جواب (القَسَم) هو الأغلب في القرآن. ومن أمثلة حذفه قوله تعالى: (لا أقسم بيوم القيامة) (القيامة: 1)، فجواب (القَسَم) محذوف، دل عليه قوله سبحانه: (أيحسب الإنسان أن لن نجعل

عظامه) (القيامة:3)، والتقدير: لتبعثن ولتحاسبن. قال ابن الأثير: "وقد ورد هذا الضرب في القرآن كثيراً" (الأزهرى، 1964).

أفعال تجري مجرى القسم:

ثمة بعض الأفعال تجري مجرى (القسم)، وهي تدل عليه من سياقها ومعناها، من ذلك قوله تعالى: (وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس) (آل عمران:187)، ف (اللام) في قوله تعالى: (لتبينه) لام (القسم)، والجملة بعدها جواب (القسم)؛ لأن أخذ الميثاق بمعنى (الاستحلاف). وبحسب هذا المنحى حملوا قوله تعالى: (وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض) (النور-55)

أخيراً، فقد روي عن بعض الأعراب أنه لما سمع قوله تعالى: (فورب السماء والأرض إنه لحق مثل ما أنكم تنطقون) (الذاريات:23)، صاح، وقال: من الذي أغضب الجليل، حتى ألجأه إلى اليمين؟ قالها ثلاثاً، ثم مات.

من روائع القسم في القرآن:

من روائع القسم في القرآن الكريم: أن جاء فاتحة للسور المكية في ست عشرة سورة، نحو: (وَالصَّافَّاتِ صَفًّا)، (وَالذَّارِيَاتِ ذَرْوًا)، (وَالطُّورِ)، (وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى)، (وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا)، (وَالنَّازِعَاتِ غَرْفًا)، (وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ)، (وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ)، (وَالْفَجْرِ وَلَيَالٍ عَشْرٍ)، (لَا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ)، (وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا)، (وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى)، (وَالضُّحَى وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى)، (وَالنَّيْنِ وَالزَّيْتُونِ)، (وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا)، (وَالْعَصْرِ) ... إلخ. وإن وقوع القسم في ابتداء السور له أثره النفسي، وفي البدء به جذب لانتباه السامع، لوقوع القسم على سمعه في شيء من الرهبة، فإذا حدث ذلك صحبه تهيؤ نفسي لتلقي ما يقال، خاصة والقسم في أوائل السور يعطيها نضرة في بهجتها، ورونقا في ديباجتها، فتلمع الأقسام في قسمات السور كالغرة البارقة، لاسيما وقد أتت بما يألفه العرب ويحبونه ويمجدونه، ألا ترى أن القرآن أقسم بالبلد الأمين، وهي محبوبتهم مكة - ومن روائع القسم: القسم بالخيال في قوله تعالى: {وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا} (1) فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا (2) فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا (3) فَأَنْزَلَ بِهِ نَاقًا (4) فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا)، (العاديات: 1-5) (القرطبي، 1378هـ).

والخيال أعز شيء عند العرب، لأنهم أمة قتال ونضال، فحياتهم قائمة عليها، وقد أكثروا في شعرهم من أوصافها، فأقسم الله بها وهي مغيرة صباحا، والشرر يتطاير من حوافرها، ووصف الغبار الذي تثيره بعدوها وهجومها على عدوهم، حتى تتوسط بين جموعه، وتوصل فرسانها إلى ربوعه.

3-ومن لطائف القسم قوله تعالى: (وَالضُّحَى (1) وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى (2) مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى (3) وَلَآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَى) (الضحى: 1-4).

أقسم تعالى على إنعامه على رسوله وإكرامه له، وذلك متضمن لتصديقه له، فهو قسم على صحة نبوته وعلى جزائه في الآخرة، وأقسم بأيتين عظيمتين من آياته، وتأمل مطابقة هذا القسم- وهو نور الضحى الذي يوافي بعد ظلام الليل- المقسم عليه، وهو الوحي الذي واثاه بعد احتباسه عنه

حتى قال أعداؤه: ودع محمدا ربه، فأقسم بضوء النهار بعد ظلمة الليل على ضوء الوحي ونوره بعد ظلمة احتباسه وإحتجابه.

الخلاصة

ظهرت لي من خلال دراستي الموجزة لأسلوب القسم الظاهري في القرآن الكريم، لجأ القرآن الكريم إلى القسم جريا على عادة العرب في تأكيد الأخبار، لتستقر في النفس، ويتزعزع فيها ما يخالفها، وإذا كان القسم لا ينجح أحيانا في حمل المخاطب على التصديق، فإنه كثيرا ما يوهن في النفس الفكرة المخالفة، ويدفع إلى الشك فيها، ويبعث المرء على التفكير الجاد والقوي فيما ورد القسم من أجله و أقسم الله بجميع مخلوقاته، شاهدها ومشهوها، ما نبصره و ما لا نبصره، على وجوده و وحدانيته، و قدرته، و وقوع البعث.

إن القسم بالله تعالى مقصود به التقديس، لأنه الخالق الذي يستوجب التقديس والعبادة، وما عدا ذلك فالتقديس والتشريف غير لازمين للقسم، وإن كان المقسم به عظيما في ذاته، وعظيما عند خالقه صوغ الدليل في صورة القسم، فيه تأكيد للمقسم عليه، وتنبيه للسامع إليه، وتمهيد له بما يقرره في الذهن.

نتائج البحث

لقد أقسم الله بمخلوقاته مع نهيهِ عن القسم بغيره للإشارة إلى أن هذه المخلوقات، ما هي إلا آيات يستنير بها أولوا الأبواب في مناهج الاستدلال على وجود الخالق الحكيم، ولتصحيح العقائد الباطلة، فالقسم بالنجم إذا هوى وأمثال ذلك، فيه رد على من اعتقدوا ألوهية الكواكب، وللفت الأنظار إلى الكون وما يحويه من حقائق وأسرار، ونظام بديع محكم، ولتقرير أن الكتاب الذي جاء به رسول الله (ﷺ) منزل من عند الله تعالى، وأن الله تكفل بحفظه من التبديل، والتحريف، والنقص، والزيادة، وأنه كتاب هداية، ينير البصائر والأبصار، لتتهدي إلى أقوم طريق.

المصادر والمراجع

1. محمد أبو الفضل إبراهيم. (1974). الإتيقان في علوم القرآن، مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب.
2. علي محمد البجاوي. (1961). أحكام القرآن لابن العربي، بيروت: دار المعرفة.
3. حمد الدين الفراهي. (1349). إمعان في أقسام القرآن، القاهرة: دار القرآن الكريم.
4. محمد عبد الله دراز. (1970). النبأ العظيم، نظرة جديدة في القرآن، الكويت: دار القلم.
5. محمد بن أحمد القرطبي. (1378). الجامع لأحكام القرآن، القاهرة: دار الكتاب.
6. عبد السلام هارون. (1964). تهذيب اللغة، مصر: دار الهيئة العامة.

BIBLIOGRAPHIC REFERENCES

1. Abu al-Fazl Ibrahim, M. (1974). Al'itqan fi 'ulum al-Quran [The perfection in the science of Quran]. Cairo: Dar al-haya al-misriya al-amma lilkuttab. (In Arabic)
2. Al-bajawi, A.M. (1961). 'Ahkam al-Quran liibn al-'arabi [The provisions of the Quran]. Beirut: Dar al-ma'rifat. (In Arabic)
3. Al-farahi, H. (1349). 'Im'an fi 'aqsam al-Quran [Impressions in the sections of the Quran]. Cairo: Dar Qur'an al-Kareem. (In Arabic)
4. Daroz, M.A. (1970). Alnaba al-'azim , nazarat jadidat fi al-Quran [Great news, a new look in the Quran]. Kuwait: Dar al-qalam. (In Arabic)
5. Al-qurtubi, M.I.A. (1378). Al-jami' li'ahkam al-Quran [The whole collection of provisions of the Quran]. Cairo: Dar al-kitab. (In Arabic)
6. Harun, A. (1964). Tahdhib al-lugha [Teaching Language]. Egypt: Dar-al-hayat al-amma. (In Arabic)

Information about the author

Lecturer Subkhiddin Khabibullovich Sharipov

Department of Religious Studies

Kazan Islamic University

420049, Kazan, Gazovaya str., 19

Russia

person.new.2017@mail.ru